بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلَام

٣٧



إنَّ مِنَ الفِطْرَةِ الَّتِي فطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا حُبُّ الأَبْنَاءِ، فَهُمْ قُرَّةُ العَيْنِ، وَمِنْ زِينَةِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَسْعَدُ الإِنْسَانُ بِأَوْلاَدِهِ، وَيُسَرُّ عِنْدَمَا يرْزُقُهُ اللَّهُ وَاحِداً مِنْهُمْ لِيَكُونُوا سَلْوَتَهُ وَهَنَاءَهُ فِي صِغَرِهِمْ وَعَوْناً لَهُ فِي شَبَابِهِمْ، وَخَاصَّةً أَنَّ السِّنَّ تَكُونُ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِهِ وَبِحَاجَةٍ هُوَ وَزَوْجُهُ إِلَى مَنْ يُسَاعِدُهُ فِي أُمُورِ الحَيَاةِ، فَيَجِدُ عِنْدَهَا أَبْنَاءَهُ بِجَانِبِهِ. وَإِذَا مَا مَاتَ الأَبُ لَمْ يَنْقَطِعْ عَمَلُهُ مِنْ تَرْبِيَتِهِ لِوَلَدِهِ وَتَعَهُّدِهِ لَهُ إِذْ يَدْعُو الوَلَدَ لِوَالِدِهِ وَيَنَالُ الأَبُ أَجْرَ دُعَاءِ ابْنِهِ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1]. وَمِنَ النَّاحِيَةِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّ الوَلَدَ الَّذِي تَعِبَ عَلَيْهِ وَالِدُهُ فِي صِغَرِهِ، وَتَعَهَّدَهُ فِي نَشْأَتِهِ، وَلَقِيَ مِنْهُ العَطْفَ والحَنَانَ والمَحَبَّةَ والإِحْسَانَ، فَهُوَ

---

(١) أخرجه مسلم رقم (١٦٣١) في الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

يُقابِلُهُ كَذَلِكَ بِالتَّقْدِيرِ والاحْتِرَامِ ، والحُبُّ والطَّاعَةِ مَدَى الحَيَاةِ، والخِدْمَةِ والمُسَاعَدَةِ وخَاصَّةً عِنْدَمَا يُصْبِحُ قَادِراً، ويَكُونُ الوَالِدُ بِحَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ. فَرَدُّ الجَمِيلِ وَمَا جُبِلَ عَلَيْهِ البَشَرُ مِنْ حَنَانِ الأُبُوَّةِ وَطَاعَةِ الأَبْنَاءِ، قَدْ أَمَرَ اللَّهُ الأَوْلاَدَ بِالالْتِزَامِ بِهَذَا ، إِذْ هُمُ الأَوْلَى بِهَا مَا دَامَ قَدْ أُسْدِيَ لَهُمُ المَعْرُوفُ، ثُمَّ يَكُونُ لَهُمْ أَبْنَاءُ مُلْزَمِينَ بِمَا أُلْزِمُوا هُمْ بِهِ تِجَاهَ آبَائِهِمْ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[1]. وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً. . .﴾[2]. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً. . .﴾[3]. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[4]. وَيَقُولُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً، وَإِنْ جَاهَدَاكَ

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤.
(٢) سورة البقرة: ٨٣.
(٣) سورة النساء: ٣٦.
(٤) سورة الأنعام: ١٥١.

لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا، إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]. وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ، ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]. وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً...﴾[3]. وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾[4]. ويقُولُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً﴾[5].

وَلَكِنَّ عَاطِفَةَ الأُبُوَّةِ تَزُولُ، والحَنَانُ يَنْعَدِمُ، والمَحَبَّةُ تَضْمُرُ فِيمَا إِذَا نَشَأَ الوَلَدُ عَلَى مَا يُخَالِفُ أَمْرَ اللَّهِ أَوْ عَلَى عَقِيدَةٍ فَاسِدَةٍ، وَيُعْطِينَا القُرْآنُ الكَرِيمُ أُنْمُوذَجاً فِي وَلَدِ نُوحٍ عَلَيْهِ

---

(١) سورة العنكبوت: ٨.
(٢) سورة لقمان: ١٤ ـ ١٥.
(٣) سورة الأحقاف: ١٥.
(٤) سورة إبراهيم: ٤١.
(٥) سورة نوح: ٢٨.

السَّلاَمُ الَّذِي لَمْ يَسِرْ عَلَى نَهْجِ أَبِيهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمَا آمَنَ بِهِ أَبُوهُ، وَعِنْدَمَا غَلَبَتِ العَاطِفَةُ عَلَى نُوحٍ، وَدَعَا رَبَّهُ لِيُنْجِيَ ابْنَهُ جَاءَهُ الرَّدُّ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الماءِ، قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ. وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَى نُوحُ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ. قَالَ: يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾[1].

وَتَنْكَمِشُ المَوَدَّةُ وَتَخِفُّ الطَّاعَةُ إِذَا كَانَ الأَبُ فِي مَعْصِيَةٍ أَوْ عَلَى شِرْكٍ وَإِنْ كَانَتِ الطَّاعَةُ وَاجِبَةً وَلَكِنْ لاَ تَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ المُوَافَقَةِ عَلَى المَعْصِيَةِ أَوِ الشِّرْكِ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾، وَيَضْرِبُ اللَّهُ لَنَا مَثَلاً فِي

---

(١) سورة هود: ٤٢ ـ ٤٦.

إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ الَّذِي كَانَ يُهِمُّهُ كُفْرُ أَبِيهِ فَيَحْرَصُ عَلَى هِدَايَتِهِ، وَيَدْعُوهُ فَيُعَانِدُه، وَيُكَرِّرُ الدَّعْوَةَ لَهُ فَيُصِرُّ عَلَى الكُفْرِ، وَيَعِدُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ فَلَمْ يُجْدِهِ شَيْئاً ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَالاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً. يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً. يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً. قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ، وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً. قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ، سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّه كانَ بِي حَفِيّاً. وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً﴾[1]. كَانَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ حَزِيناً عَلَى أَبِيهِ خَائِفاً عَلَيْهِ مُتَأَلِّماً مِنْ كُفْرِهِ مُتَضَايِقاً مِنْ شِرْكِهِ يَخْشَى عَلَيهِ مِنَ النَّارِ لِحُبِّهِ لَهُ، وَيَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ العَذَابِ عَطْفاً عَلَيْهِ. وَلَمْ يُطِعْهُ فِي عِبَادَتِهِ لِلأَصنَامِ وَلَمْ يُوَافِقْهُ عَلَى تَقْدِيرِهَا حَتَّى هَجَرَهُ واعْتَزَلَ قَوْمَهُ، وَقَلْبُهُ يَكَادُ يَتَفَطَّرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَبُوهُ.

وَيَضْرِبُ التَّارِيخُ لَنَا مَثَلاً آخَرَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بنِ

(١) سورة مريم: ٤٢ ـ ٤٨.

عَبْدِ اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولٍ. كَانَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بَنُ أُبيٍّ سَيِّدِ الخَــزْرَجِ في آخِــرِ جَاهِلِيَّتِهِــمْ، وَبَعْــدَ يَوْمِ بُعَــاثٍ الَّذِي وَقَــعَ بَيْنَ الخَــزْرَجِ وَالأَوْسِ، وَآنْتَصَــرَتْ فِيهِ الأَوْسُ وَكَادَتْ تَقْضِــي عَلَــى الخَــزْرَجِ، وَتَــمَّ الصُّلْــحُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ وَعَمِلَ أَهْلُ المَدِينَــةِ عَلَى إِنْهَاءِ الحَرْبِ بَيْنَ أَبْنَائِهَــا وَاتَّفَقُوا عَلَى تَتْــوِيجِ عَبْدِ اللَّهِ بــنِ أُبَــيّ مَلِــكاً عَلَــى المَدِينَــةِ فَهُوَ زَعِيمُ الخَزْرَجِ أَكْثَرُ العَرَبِ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي المَدِينَةِ، وَقَدْ بَدَؤُوا يُهَيِّئُــونَ لَهُ التَّــاجَ وَيَنْظِمُــونَ الخَــرَزَ لَهُ، غَيْرَ أَنَّــهُ قَدْ تَمَّــتْ بَيْعَــةُ العَقَبَــةِ الأُولَى وَتَلَتْهَــا الثَّانِيَةُ، وَيَمَّمَ المُسْلِمُونَ فِي مَكَّةَ وَجْهَهُمْ مُهَاجِرِينَ إِلَى المَدِينَةِ، وَقَدْ فَشَا الإِسْلاَمُ فِيهَا، وَهَاجَــرَ رَسُــولُ اللَّــهِ، صَلَّــى اللَّــهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْتَفَّ الأَنْصَــارُ حَوْلَــهُ، وَالتَقَــى المُسْلِمُــونَ عَلَيْهِ، وَاتَّجَهَتِ الأَنْظَارُ نَحْوَهُ، وَنُسِــيَ عَبْدُ اللَّهِ بــنُ أُبَــيٍّ، وَنُسِــيَ مُلْكُهُ، وَضَاعَ تَاجُــهُ، فَحَقَــدَ عَلَــى الإِسْــلاَمِ وَنَبِيِّهِ، وَعَلَــى المُسْلِمِينَ جَمِيعاً، وَخَاصَةً الأَنْصَارَ الَّــذِينَ تَرَكُوهُ، فَيَعُدُّهُــمْ أَنَّهُمْ قَدْ خَذَلُوهُ، وَنَقَضُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ أَنْ أَبْرَمُوهُ. وَأَسْلَمَ ابْنُهُ عَبْــدُ اللَّــهِ، وَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَتَــرَكَ أَبَــاهُ، وَسَــارَ فِي الصَّفِ رَغْمِ أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ رِجَالِ المَدِينَةِ بَرّاً بِوَالِــدِهِ، وَاحْتَفَــظَ لأَبِيهِ بِالطَّاعَةِ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَبِالاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ، وَالرَّغْبَةِ لَهُ بِالهِدَايَةِ.

وَأَمَّا (سَلُولُ) فَهُوَ اسْمُ أُمِّ أَبِيهِ أُبَيِّ بن مَالِكٍ، وَهِيَ مِنْ خُزَاعَةَ، وَقَدْ نُسِبَ إِلَيْهَا، وَأَصْبَحَ يُعْرَفُ باسْم (عَبْدِ اللَّهِ بن أُبَيٍّ بن سَلُولٍ).

وَأَمَّا أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ الابْنِ فَهِيَ خَوْلَةُ بِنْتُ المُنْذِرِ بن حَرَام مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الخَزْرَجِ فَهِيَ خَزْرَجِيَّةٌ مِثْلُهُ.

كَانَ اسْمُ عَبْدُ اللَّهِ فِي الجَاهِلِيَّةِ (الحُبَابَ) وَبِهِ يُكَنَّى أَبُوهُ، فَلَمَّا أَسْلَمَ سَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَبْدَ اللَّهِ فَأَصْبَحَ اسْمُهُ (عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَبْدِ اللَّهِ بن أُبَيٍّ).

كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ الابْنِ عَدَدٌ مِنَ الأَوْلاَدِ هُمْ: عُبَادَةُ، وَجُلَيْحَةُ، وَخَيْثَمَةُ، وَخَوَلِيٌّ، وَأُمَامَةُ، وَلَمْ تُسْعِفْنَا المَصَادِرُ بِمَعْرِفَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيَبْدُو أَنَّهُ قَدْ أَسلَمَ وَعُمْرُهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلاَثِينَ، وَأَنَّهَ كَانَ مُتَزَوِّجاً، وَأَوْلاَدُهُ قَدْ وُلِدُوا جَمِيعاً بِاسْتِثْنَاءِ أُمَامَةَ قَبْلَ إِسْلاَمِهِ.

مَعْرَكَةُ بَدْرٍ

وَقَامَتْ دَوْلَةُ الإِسْلاَمِ فِي المَدِينَةِ، وَأَخَذَتْ تُمَارِسُ صَلاَحِيَّاتِهَا، وَجَاءَتْ قُرَيْشٌ لِمُهَاجَمَةِ المَدِينَةِ والقَضَاءِ عَلَى الدَّوْلَةِ فِيْهَا ـ حَسْبَ زَعْمِهَا ـ لأَنَّ المُسْلِمِينَ قَدْ خَرَجُوا لِلتَعَرُّضِ لِقَافِلَةِ أَبِي سُفْيَانَ فَكَانَ أَنِ التَقَى المُسْلِمُونَ

الخَارِجُونَ لِلْقَافِلَةِ مَعَ جَيْشِ قُرَيْشٍ القَادِمِ لِلْقِتَالِ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةُ بَدْرٍ الَّتِي أَعزَّ اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ المُسْلِمِينَ وَأَذَلَّ المُشْرِكِينَ وَأَخْزَاهُمْ. وَشَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ هَذِهِ المَعْرَكَةَ بِجَانِبِ المُسْلِمِينَ، أَمَّا أَبُوهُ فَقَدْ بَقِيَ عَلَى شِرْكِهِ وَحِقْدِهِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا رَأَى قَوْمَهُ قَدْ أَبَوْا إِلاَّ الإِسْلاَمَ، وَقَدِ انْتَصَرُوا فِي بَدْرٍ دَخَلَ فِيهِ كَارِهاً مُصِرًّاً عَلَى النِّفَاقِ وَالضِّغْنِ. وَكَذَلِكَ كَانَ ابْنُ خَالَتِهِ أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ عَمْرِ بنِ صَيْفِيٍّ بنِ النُّعْمَانِ مِنَ الأَوْسِ، وَكَانَ قَدْ تَأَلَّهَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَلَبِسَ المُسُوحَ وَتَرَهَّبَ لِذَا عُرِفَ بِالرَّاهِبِ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ عَلَى الحَنِيفِيَّةِ، وَيَذْكُرُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعِدُ النَّاسَ بِظُهُورِهِ، وَيُعَدُّ أَبُو عَامِرٍ مِنْ أَشْرَافِ الأَوْسِ. فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبَى أَبُو عَامِرٍ إِلاَّ الكُفْرَ وَمُفَارَقَةَ قَوْمِهِ حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ حِقْداً وَغَيْرَةً وَحَسَداً، وَسَارَ مَعَ بِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلاً إِلَى مَكَّةَ وَحَضَرَ أُحُداً مَعَ المُشْرِكِينَ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا فَتَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غَادَرَهَا أَبُو عَامِرٍ إِلَى الطَّائِفِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ لَحِقَ بِالشَّامِ. فَمَاتَ بِهَا طَرِيداً غَرِيباً وَحِيداً. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَمَا ذُكِرَ أَمَامَهُ وَوُصِفَ بِالرَّاهِبِ: «لاَ تَقُولُوا: الرَّاهِبَ، وَلَكِنْ قُولُوا: الفَاسِقَ».

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ الابْنُ يُهِمُّهُ شِرْكُ أَبِيهِ قَبْلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا أَظْهَرَ ابنُ أُبَيٍّ الإِسْلاَمَ ظَنَّ الوَلَدُ بِأَبِيهِ خَيْراً وَاسْتَبْشَرَ، وَلَكِنْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَتْ لَهُ الحَقِيقَةُ وَعَرَفَ أَنَّ أَبَاهُ مُنَافِقٌ فَأَغَمَّهُ الأَمْرُ، وَثَقُلَ عَلَيْهِ رُؤْيَةُ المُنَافِقِينَ يُلاَزِمُونَ أَبَاهُ وَيُحَاوِلُونَ حَبْكَ المُؤَامَرَاتِ وَدَسَّ الدَّسَائِسَ. وَبَقِيَ الابْنُ يَدْعُو لأَبِيهِ وَيَتَمَنَّى لَهُ الهِدَايَةَ، وَيُبْدِي لَهُ المَحَبَّةَ وَالتَّقْدِيرَ عَسَى أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ وَيُدْخِلَ الإِيْمَانَ إِلَى قَلْبِهِ.

فِي أُحُدٍ

وَجَاءَ المُشْرِكُونَ إِلَى أُحُدٍ، وَكَانَ رَأْيُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الاعْتِصَامَ فِي المَدِينَةِ، وَمُقَاتَلَةِ الأَعْدَاءِ مِنْ دَاخِلِهَا، وَكَذَا كَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ غَيْرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، رَأَى أَنَّ بَعْضَ المُسْلِمِينَ يَرْغَبُونَ بِالخُرُوجِ لِمُلاَقَاةِ العَدُوِّ، وَأَنَّ الحَمَاسَةَ قَوِيَّةٌ عِنْدَهُمْ فَقَرَّرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنَّ ابْنَ أُبَيٍّ اعْتَرَضَ عَلَى ذَلِكَ وَانْتَقَدَ، وَأَبْدَى مُخَالَفَتَهُ وَعَرَّضَ، ثُمَّ امْتَثَلَ وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرِحَ ابْنُهُ، وَاسْتَبْشَرَ، وَظَنَّ خَيْراً غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَابَ أَمَلُهُ فَرَجَعَ وَالِدُهُ بِثُلُثِ الجَيْشِ مِنْ مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ مُظْهِراً

سَخَطَهُ، وَمُبَيِّناً نَقْدَهُ، وَمُخَالَفَتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَكِنَّ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ قَدْ تَابَعَ السَّيْرَ مَعَ رَسُولِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَاتَلَ، وَأَبْلَى، وَأَحْسَنَ. وَلَمْ يُفَارِقِ القَلَقُ نَفْسَهُ جَزَعاً عَلَى أَبِيهِ، وَخَوْفاً مِنْ أَنْ تَكُونَ النَّارُ مَصِيراً لَهُ لِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ النِّفَاقِ.

فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ

وَقَفَ ابنُ أُبَيٍّ مَعَ يَهُودَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَشَدَّ فِي أَزْرِ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ، وَوَعَدَهُمْ بِالنَّصْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ بَقِيَ ابْنُهُ يَدْعُو لَهُ وَيَتَمَنَّى لَهُ الهِدَايَةَ والرَّشَادَ، وَيُبْدِي لَهُ الطَّاعَةَ وَلَكِنَّهُ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ لَمْ يَتَخَلَّفِ الابْنُ عَنْ غَزْوَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ شَهِدَ مَعَهُ المَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَكَانَ حَسَنَ الإِسْلاَمِ، صَادِقَ النِّيَّةِ، وَبَارّاً بِوَالِدِه رَغْمَ مَعَاصِيهِ وَنِفَاقِهِ.

وَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ بَنِي المُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ يَجْمَعُونَ لَهُ بِإِمْرَةِ كَبِيرِهِمْ الحَارِثِ بنِ أَبِي ضِرَارٍ فَسَارَ إِلَيْهِمْ فِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْهِجْرَةِ، فَلَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ «المُرَيْسِيعُ»، فَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ، وَنَفَّلَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. وَكَانَ ابنُ أُبَيٍّ قَدْ سَارَ مَعَ المُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ، فَاسْتَبْشَرَ وَلَدُهُ خَيْراً، وَلَكِنْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ حَدَثَ مَا حَدَثَ فَظَهَرَ النِّفَاقُ.

فَبَيْنَمَا كَانَ المُسْلِمُونَ عَلَى مَاءِ «المُرَيْسِيعِ» اخْتَلَفَ وَازْدَحَمَ عَلَى المَاءِ أَجِيرٌ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ يُدْعَى «جَهْجَاه» وَ «سِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الجُهَنِيُّ» حَلِيفُ الأَنْصَارِ مِنْ الخَزْرَجِ فَصَرَخَ «جَهْجَاهُ» يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ، وَصَرَخَ «سِنَانُ» يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، فَغَضِبَ ابْنُ أُبَيٍّ، وَقَالَ لِرَهْطٍ عِنْدَهُ مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ «زَيْدُ بنُ أَرْقَمَ» وَهُوَ غُلَامٌ حَدَثٌ: أَوَقَدْ فَعَلُوهَا، قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاللَّهِ مَا أَعُدُّنَا وَجَلَابِيبَ[1] قُرَيْشٍ إِلاَّ كَمَا قَالَ الأَوَّلُ: «سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ!» أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ وَقَالَ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، أَحْلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ. فَمَشَى زَيْدُ بنُ أَرْقَمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، فَأَخْبَرَ الرَّسُولَ الخَبَرَ. فَقَالَ عُمَرُ: مُرْ عَبَّادَ بنَ بِشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ؛

---

(١) جلابيب: لقب أطلقته قريش على من أسلم منها، نسبةً إلى الأزر الغليظة التي يلتحفون بها.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ! لا وَلَكِنْ أَذِّنْ بِالرَّحِيلِ، وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَرْتَحِلُ فِيهَا، فَارْتَحَلَ النَّاسُ[1].

وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ بن سَلُولٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدَ بنَ أَرْقَمَ قَدخَبَّرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْهُ، وَحَلَفَ بِاللَّهِ: مَا قُلْتُ مَا قِيلَ لَكَ، وَلاَ تَكَلَّمْتُ بِهِ، وَقَالَ بَعْضُ الحُضُورِ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَلَّ الغُلاَمَ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ، لَعَلَّهُ لَمْ يَسْتَوْعِبْ مَا قِيلَ تَمَاماً، وَذَلِكَ حِرْصاً عَلَى ابن أُبيٍّ وَذَلِكَ لِشَرَفِهِ فِي قَوْمِهِ.

وَاسْتَعْلَى عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بِإِيمَانِهِ، وَتَحَرَّكَ فِي نَفْسِهِ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَأَلْقَى بِعَاطِفَةِ البُنُوَّةِ، وَمَحَبَّةِ الأَبِ، وَاحْتِرَامِ الأَبِ، وَطَاعَةِ الأَبِ وَسَارَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بن أُبيٍّ «لَمْ يَقُلْ أَبِي أَوْ وَالِدِي وَإِنَّمَا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ حَتَّى لاَ يَكُونَ هُنَاكَ أَيُّ أَثَرٍ لِلأُبُوَّةِ وَمَا يَرْتَبِطُ بِهَا» فِيمَا

---

(١) لم تكن قضية أجيرين تستحق هذه الثورة والغضب ولكن النفاق تحرّك فأثار.

بَلَغكَ عَنْهُ، فَإِنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ رَأْسَهُ إِلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَتِ الخَزْرَجُ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبَرَّ بِوَالِدِهِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ، فَلاَ تَدَعُنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ يَمْشِي فِي النَّاسِ، فَأَقْتُلَهُ، فَأَقْتُلَ رَجُلاً مُؤْمِناً بِكَافِرٍ فَأَدْخُلُ النَّارَ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا.

وَشَعَرَ ابنُ أُبَيٍّ بالضَّعَةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَخَاصَّةً أَنَّ قَوْمَهُ أَصْبَحُوا هُمُ الَّذِينَ يُعَنِّفُونَهُ وَيُعَاتِبُونَهُ فِيمَا إِذَا أَقْدَمَ عَلَى عَمَلٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الحَطِّ مِنْ شَأْنِ الإِسْلاَمِ أَوْ أَهْلِهِ مَهْمَا كَانَ قَلِيلاً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ؛ كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَوَ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي اقْتُلْهُ، لأُرْعِدَتْ لَهُ أُنُفٌ، لَوْ أَمَرْتُهَا اليَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ؛ فَقَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي.

وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى وَادِي العَقِيقِ فِي طَرِيقِ العَوْدَةِ إِلَى المَدِينَةِ شَعَرَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ نَفْسَهُ لَمْ تَرْتَحْ، وَأَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَا

عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ أَعَزُّ بِكَثِيرٍ مِنْ مَوَدَّةِ الأَبِ أَوْ أَيٍّ وَشِيجَةٍ مِنْ وَشَائِجِ القُرْبَى الأُخْرَى وَمِنْ أَيَّةِ صِلَةٍ مِنْ صِلاَتِ الدُّنْيَا، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾[1].

فَتَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَجَعَلَ يَتَصَفَّحُ الرَّكَائِبَ حَتَّى مَرَّ أَبُوهُ، فَأَنَاخَ بِهِ، ثُمَّ وَطِىءَ عَلَى يَدِ رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ أَبُوهُ: مَا تُرِيدُ يَا لُكَعُ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ تَدْخُلُهَا حَتَّى يَأْذَنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَتَّى تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، العَزِيزُ، وَلِتَعْلَمَ أَيْضاً الأَعَزَّ مِنَ الأَذَلِّ، أَنْتَ أَوْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَنْتَ مِنْ بَيْنِ النَّاسِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ أَنَا مِنْ بَينِ النَّاسِ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ. فَصَارَ الأَبُ يَقُولُ: لأَنَا أَزلُّ مِنَ الصِّبْيَانِ،

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

لَأَنَا أَزَلُّ مِنَ النِّسَاءِ. حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بن عَبْدِ اللَّهِ: خَلِّ عَنْ أَبِيكَ. فَخَلَّى عَنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِعَبْدِ اللَّهِ بن عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَهَا: «جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنِ المُؤْمِنِينَ خَيْراً». وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ المُنَافِقِينَ.

وَفَاةُ ابنُ أُبَيٍّ

تَقَدَّمَتِ السِّنُّ بِابْنِ أُبَيٍّ، وَشَعَرَ بالذُّلِّ، فَقَدْ أَخْزَاهُ اللَّه أَمَامَ النَّاسِ فِي مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ، وَقَهَرَهُ وَلَدُهُ عَلَى مَرْأَى مِنَ المُسْلِمِينَ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ بَقِيَ يَكِيدُ لِلإِسْلَامِ رَغْمَ تَظَاهُرِهِ بِاعْتِنَاقِهِ، وَيَحْقِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رُغْمَ إِبْدَائِهِ المَحَبَّةَ لَهُ.

وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، إِلَى تَبُوكَ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَتَخَلَّفَ ابنُ أُبَيٍّ مُتعَلِّلاً، وَمَا أَنْ رَجَعَ المُسْلِمُونَ مِنْ تِلْكَ الغَزْوَةِ حَتَّى كَانَ ابنُ أُبَيٍّ يَحْتَضِرُ، وَخَشِيَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ، لَمْ يَخْشَ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَهُوَ نِهَايَةُ كُلِّ حَيٍّ، وَلَكِنَّهُ خَافَ عَلَيْهِ مِنَ النَّارِ، وَلَمْ تَعُدِ الدَّعْوَةُ تَنْفَعُهُ، وَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ أَعْمَالٌ يُمْكِنُهُ القِيَامَ بِهَا

لِيَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَ، وَلِيُكَفِّرَ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ مِنْ نِفَاقٍ وَمَا حَصَلَ مِنْهُ مِنْ مُحَارَبَةٍ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

أَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ بن سَلُولٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مَرِيضٌ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَهْلَكَكَ حُبُّ يَهُودَ» قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ لِتَسْتَغْفِرَ لِي وَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ لِتُؤَنِّبَنِي.

رَوَى البُخَارِيُّ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تصَلِّي عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا خَيَّرَنِيَ اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[1] وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ». قال: إِنَّهُ مُنَافِقٌ. فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ

(١) سورة التوبة: من الآية ٨٠.

﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مَاتَ مِنْهُمْ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾[1] .

حَرَصَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى التَّخْفِيفِ عَنْ أَبِيهِ : كَفَّنَهُ بِقَمِيصِ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَيْهِ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، وَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ ، وَمَا فَعَلَ ذَلِكَ إِلاَّ عَطْفاً عَلَى أَبِيهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُفِدْهُ شَيْئاً إِذْ كَانَ رَأْسَ النِّفَاقِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - .

اسْتِشْهَادُ عَبْدِ اللَّهِ

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْلَ أَقَلَّ مِنْ عَامَيْنِ ، تُوُفِّيَ وَهُوَ رَاضٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ . وَتَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَارْتَدَّتْ أَكْثَرُ الْعَرَبِ ، فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَهُمُ الْجُيُوشَ ، وَانْخَرَطَ عَبْدُ اللَّهِ فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ انْطَلَقُوا إِلَى الْيَمَامَةِ ، وَاسْتُشْهِدَ يَوْمَهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

---

(١) سورة التوبة : من الآية ٨٤ .